راكِعَةً أَمامهُ، إجلالاً لَهُ وَتعظِيمًا، ثم أَفضَتْ إلَيْهِ بِقِصَّتِها وخَتَمَتْها قائِلَةً:

«إنَّهُ يَرْتَدِي ثَوْبَ صُعْلُوكٍ، ولكنَّ لهُ هِمَّةَ المُلوكِ. وَهُوَ فِي مَوْلِدِهِ أَمِيرٌ، مَعَ أنَّ أباهُ اليَوْمَ ناسِكٌ فقيرٌ. وقَلْبُه مِثْلُ قَلْبِ الفلَّاحِ طُهْرًا وَنَقاءً، وَطيبَةً وَوَفاءً وهُوَ شاعِرٌ حَسَنُ المَعانِي والأَداءِ، وَمُوسِيقِيٌّ رائعُ الإنشادِ والغِناءِ.»

٢-اسمُهُ «سَتْيا ڤان»

فَقال المَلِكُ: «إِنِّي أُهَنِّئُكِ بِما ظَفِرْتِ بِهِ مِنْ تَوْفِيقٍ. ولَكِنَّكِ نسِيتِ أَنْ تذكُرِي لَنا اسْمَ هٰذا الأمِيرِ!» فقالَت له: «اسمه ستيا ڤان!» فَقَفَزَ الحكِيمُ «نارادا» حِينَ سَمِعَ هذا الاسْمَ، ورَفَعَ إحْدَى يَدَيْهِ مُرْتاعًا، وقالَ مُتألِّمًا محزُونًا: «أَرجُو أَلَّا يكُونَ اسْمُه -كما قُلْتِ- سَتْيا ڤانَ؟» فأَجابتْه باسِمَةً: «إنه سَتْيا ڤانُ! بعَيْنِهِ، يا سيِّدِي النَّاصِحَ الحكِيمَ» فَسَأَلَهُ المَلِكُ مُتعجِّبًا: «ماذا أفزَعَكَ مِنِ

اسمه؟ أليس كما وصفته بنتي، شجاعة ونبلاً ورجاحة عقل؟» فقال «نارادا»: «بلى، وهو أعظم مما وصفته الأميرة ولكن ملك الموت: «ياما»، قد ألقى شبكته على هذا الأمير، وكتبه في دفتر الهالكين، ولن يسمح له بالحياة أكثر من سنة واحدة!»

٣ ـ صوت الهاتف

فارتاع الملك، وامتقع وجه الأميرة (أي: تغير لونه من الحزن والفزع)، وكاد يغمى عليها. ولكن سرعان ما أفاقت من ذهولها واستمسكت، حين همس في أذنها صوت هاتف كريم: «الوفاء من شيمة الأحرار، والغدر من خلق الأشرار، ورحمة الله واسعة.» فوقفت قائلة، وقد استردت شجاعتها: «إن ما تقوله حق. لكني لن أخلف وعدي، وسأبر بعهدي. ولو ترملت (أي: بقيت أرملة بلا زوج) خمسين عاماً!»

٤ - قرار «نارادا»

وَحِينَئِذٍ وَقَفَ الْحَكِيمُ النَّاصِحُ، وأَطْرَقَ لَحَظَاتٍ، وَقَدِ اسْتَنَدَ رَأْسُهُ الى صَدْرِهِ حَتَّى كادَ يَخْتَفِي فيه، وانْسَدَلَتْ على وَجْهِهِ عَباءَتُه الطَّويلَةُ. فَكَتَمَ الملكُ والأَمِيرَةُ أَنْفَاسَهُما حَتَّى لا يَقْطَعا تَفْكِيرَهُ. ثُمَّ أَفاقَ الْحَكِيمُ مِنْ أَحْلامِهِ، فَدَفَعَ إِلَى الأَمامِ عَباءَتَهُ، ورَفَعَ - نَحْوَ الأَمِيرَةِ - يَدَيْهِ مُسْتَعْطِفاً، كأَنَّما يَعْتَذِرُ عَمَّا فاهَ (أَيْ: نَطَقَ) بِهِ.

ثُمَّ قالَ: «السَّلامُ لَنْ يَغْفُلَ عَنْكِ، يا بنتَ مَلِكِ الجيادِ!»

ثم تَرَكهما وانصَرَفَ.

٥ - إِلَى الْغابةِ

سَأَلَتِ الأَمِيرَةُ أَباها عَمَّا يَعْنِيهِ «نارادا» فقالَ لها: «لَمْ أَفْهَمْ ما عَناهُ، ولكِنْ حَسْبُنا أَنَّهُ كَفَّ عَنْ مُعارَضَتِهِ. وَلَوْ رَأَى شَرًّا، لأَصَرَّ عَلَى رَأْيِهِ

والرأْيُ لكِ - يا بُنَيَّتي - بعدَ أنْ عرفتِ ما كانَ خافياً عنكِ مِنْ قبلُ فإنْ شئتِ وفيتِ لهُ بوعدِكِ، وإنْ شئتِ اعتذرتِ لهُ». فقالتْ: «لا سبيلَ إلى الغدرِ ونقضِ العهدِ». فلمّا رآها مُصرّةً على الوفاءِ بوعدِها، أعلنَ عزمَهُ على تزويجِها بالأميرِ «ستياڤان». واستقلَّ الملكُ وبنتُه عربتَهُما الملوكيّةَ الّتي يجرُّها الثّوْرانِ الأبيضانِ، بعدَ أنْ حملا فيها معهُما كثيراً مِنَ النّفائسِ، هديّةً لوالِدَي الأميرِ «ستياڤان».

٦ - عند ملك «شلواز»

ولمّا علِمَ ملكُ «شلواز» بما قدِمَ مِن أجلِهِ «ملِكُ الجيادِ» وبنتُهُ «شقِترى» تملّكهُ الدّهشُ، وسألَهُما متعجّباً: «كيفَ ترْضَى «بنتُ السّماءِ» أنْ تعيشَ - بيْنَ ظهرانيْنا - في هذهِ الغابةِ الموحشةِ؟ وكيفَ تستسيغُ طعامنا، وتألفُ عاداتِنا؛ ونحنُ نفترشُ الأرضَ، ونطْعَمُ الطّحلُبَ وثِمارَ الغابةِ، ونلبسُ جلودَ الوحوشِ، وقشْرَ الشّجرِ، ولا نألفُ الحُلِيَّ والوسائِدَ

(أي: المخدات)، ولا يقوم بخدمتنا أحدٌ غيرنا أنفسنا، ولاحظَّ لنا إلا التقشُّفُ والعبادةُ والزهدُ فيما تحويه الدُّنيا من اللذائذ الفانية)»

فلمَّا سمعت الأميرةُ قولَ شيخِ النُّسَّاك، أسرَّت إليه حقيقةَ أمرِها، فاقتنع بما قالته ثمَّ أدخل ضيفيه صومعته، وهي — كما أخبرتُك — مُشيَّدةٌ بأغصانِ الشجرِ وأوراقها. (أي: أخبرها) وأفضى الناسكُ إلى زوجِه بقصَّةِ ضيفيه العظيمين، فرحَّبت بهما أحسنَ ترحيب.

٧ — حفلة العرس

ثمَّ عاد الأمير «ستياقان» من صيده بعد زمنٍ طويلٍ، وتمَّ زواجُه بالأميرةِ في تلك الليلة، وحضر جميعُ إخوتهم من النُّسَّاك — حفلةَ العروسين، وتعجَّبوا مما حبا الله به الأميرةَ من جمالِ الخَلْقِ والخُلُقِ، و[illegible] عليها [illegible].

[illegible] أجوا [illegible]رها

وحُلِيَّهَا وثيابَهَا الْفاخِرَةَ ، واسْتَبْدَلَتْ بِها ثَوْباً مِنْ قِشْرِ الشَّجَرِ ، الْبُنِّيِّ اللَّوْن ، الَّذِى يَرْتَدِيهِ أهْلُ الْغابَةِ .

وقَدِ ارْتَدَتْ هٰذا الثَّوْبَ الْحَقِيرَ وَهِىَ تَقُولُ :

«لَسْتُ الانَ اميرة ، بَلْ نَاسِكَةٌ فَقِيرَةٌ»

وَفِى الْيَومِ التَّالِى وَدَّعَها الْمَلِكُ ، آمِلًا أَنْ تَعُودَ إِلَيْهِ بَعْدَ انْقِضاءِ الْعامِ .

الفصل الثالث

١ — صوت الهاتف

وَمَرَّتِ الأَيَّامُ — كما تمرُّ أوقاتُ السَّعادةِ — سِرَاعًا. ولم يكن يُنغِّصُ على الأميرةِ سعادتها إلّا شيءٌ واحدٌ، هو دنوُّ أجلِ الأميرِ. فكانت تتركه بين حينٍ وآخر، وتجلسُ وحدها — في الغابة — متأوِّهةً باكيةً حظَّه العاثر. ولما أشرف العامُ على نهايتِهِ، سمعت هاتفًا يهمسُ إليها قائلًا: «بعد أن ينقضيَ هذا اليومُ لن يعيشَ الأميرُ أكثرَ من ثلاثةِ أيامٍ» فاعتزمت ألّا تتركَ زوجها لحظةً واحدةً، لعلها ترى ملاكَ الموتِ — المُسمَّى عند الهندوس «ياما» — وقالت في نفسها: من يدري؟ فلعلّي أستطيعُ أن أقطعَ شبكة الموت، حين يقترب «ياما» من الأمير

أَوْ أَثْنِيَهُ عَنْ عَزْمِهِ بِالْحِيلَةِ ، فَإِنَّ قَلْبِي يُحَدِّثُنِي أَنَّ أَمَلِي لَنْ يَخِيبَ ».

٢ ـ مَصْرَعُ الأَمِيرِ

وَلَمَّا طَلَعَ فَجْرُ الْيَوْمِ الثَّالِثِ ، ذَهَبَتِ الْأَمِيرَةُ إِلَى النَّاسِكِ الضَّرِيرِ ، فَاسْتَأْذَنَتْهُ أَنْ تَصْحَبَ زَوْجَهَا إِلَى الْغَابَةِ فِي ذٰلِكَ الْيَوْمِ . فَأَذِنَ لَهَا أَنْ تَصْحَبَهُ ، عَلَى أَلَّا تُعَوِّقَهُ عَنْ قَطْعِ الْأَشْجَارِ . وَقَدِ امْتَلَأَتْ نَفْسُ الْأَمِيرِ مَرَحًا وَحُبُورًا ـ فِي ذٰلِكَ الْيَوْمِ ـ بِقَدْرِ مَا حَزِنَتِ الْأَمِيرَةُ الَّتِي كَانَتْ قَلِقَةً عَلَى زَوْجِهَا ، تُجِيلُ بَصَرَهَا وَتُدِيرُ لِحَاظَهَا فِي كُلِّ مَا يَكْتَنِفُهَا مِنْ نَبَاتِ الْغَابَةِ وَشَجَرِهَا وَقَصَبِهَا الْعَالِي بَاحِثَةً عَنْ « يَامَا » ، وَقَدِ ارْتَجَفَتْ شَفَتَاهَا مِنَ الرُّعْبِ . وَلَمَّا بَلَغَا عِيدَانَ الْقَصَبِ الضَّخْمَةَ ، حَاوَلَ « سَتْيَاثَانُ » أَنْ يَرْفَعَ مِلْطَسَهُ (أَيْ : فَأْسَهُ) لِيَقْطَعَ بِهَا وَاحِدًا مِنْهَا ؛ فَخَذَلَتْهُ قُوَّتُهُ ، وَهَوَى الْمِلْطَسُ مِنْ يَدِهِ إِلَى الْأَرْضِ ، فَصَاحَ مَذْعُورًا :

«وَاهٍ وَاهٍ، يا «سقيترى» أَيُّ أَلَمٍ هٰذا الَّذِي يُمَزِّقُ رَأْسِي وَيُبَدِّدُ قُوَّتِي! اجْلِسِي قَلِيلاً فَإِنِّي فِي حَاجَةٍ إِلَى النَّوْمِ.»

٣ - شَبَكَةُ الموْتِ

وَحِينَئِذٍ أَدْرَكَتْ «سَقِيتْرِى» أَنَّ ساعَةَ الْقَضَاءِ قَدْ حانَتْ ونظرتْ فإذا بها تُبْصِرُ شَبَحاً أَخْضَرَ طَوِيلَ الْقامَةِ، نَحِيلَ الْجِسْمِ، مُتَوَهِّجَ الْعَيْنَيْنِ، وفِي يَدِهِ حَبْلٌ طَوِيلٌ. فَعَلِمَتْ أَنَّها تَرَى أَمامَها «ياما» وأَنَّ ذٰلِكَ الْحَبْلَ الطَّوِيلَ هُوَ «شَبَكَةُ الْموت». ولم يَدِبَّ الْيَأْسُ إِلى قَلْبِهَا، فَوَقَفَتْ مُتَباطِئَةً وانْحَنَتْ أَمامَهُ ضارِعَةً، وَهِيَ تَقُولُ «مَنْ أَنْتَ أَيُّهَا الْمَوْلَى الْعَظِيمُ الْقَوِيُّ؟» فَقالَ لَهَا: «لا تَسْأَلِي عَنِ اسْمِي يا «سَقِيتْرِى»، وَحَسْبُكِ أَنْ تَعْلَمِي أَنِّي جِئْتُ لِزَوْجِكِ «سَتْيَاقان» الَّذِي انْتَهَتْ حياتُهُ»

ثُمَّ أَلْقَى شَبَكَتَهُ - لِلْحالِ - عَلَى الأَمِيرِ النّائِمِ، فَأَمْسَكَتْ بِهِ وحدهِ - كَما تُمْسِكُ بِالْكُرَةِ - وَجَذَبَها

إليه، ثم أدار وجهه صوب الجنوب، وظل يعدو في مثل سرعة البرق.

٤ — في عالم الموتى

ولم تقف «سفترى» مكتوفة اليدين، بل جرت مسرعة في أثره، وما زالت تجرى حتى اجتازت عالم الأحياء، ثم واصلت طيرانها خلفه في عالم الأموات. وحينئذ وقف «ياما» والتفت إليها قائلا: «ارجعي — يا بنيتي — من حيث أتيت، وادفني جثة زوجك، فقد أتعبت نفسك بلا فائدة» فقالت له: «كلا أيها المولى العظيم، لا سبيل إلى ذلك، فقد عاهدت زوجي على أن أتبعه حيثما حل وما أظنك — يا مولاى — ترضى لي، أن أخون العهد» فابتهج «ياما» حين رأى حرصها على الوفاء بعهدها، وأعجب بحسن أدبها في حديثها، فقال لها: صدقت — يا بنيتي —

وبالحقّ نطقتِ. وسأجزيكِ على وفائِكِ أحسنَ الجزاءِ، فتمنَّيْ شيئًا غيرَ عودةِ زوجِكِ إلى الحياةِ»

٥ — الجائزة الاولى

فأطرقتْ لحظةً، وقد رأتْ ألّا تضيعَ الفرصة، فقالتْ: «أُريدُ أنْ يستردَّ مَلِكُ «شَلْوازَ» بصرَهُ وقوّتَهُ» فقالَ لها «ياما»: «لقدْ أجبتُكِ إلى طلبتِكِ فعودي أدراجَكِ يا فتاةُ، فلمْ يَعْبُرْ هذا المكانَ أحدٌ — مِنْ قبلُ — وهُوَ حيٌّ». فلمْ تيأسْ مِنْ تحقيقِ أملِها، وقالتْ متودّدةً: «إذا كانَ الموتى يَنْعمونَ برعايةِ مثلِكَ، فإنَّ عالمَ الأمواتِ — هوَ عندي — خيرٌ منْ عالمِ الأحياءِ، لأنَّ في البقاءِ الى جِواركَ بهجةً متجدّدةَ الرّوعةِ»

٦ — الجائزة الثانية

فاشتدَّ إعجابُ «ياما» بلباقتِها، وحُسْنِ جوابِها، وقالَ لها: «لكِ جائزةٌ أخرى، فاطلبيها

تجابي إليها .» فقالت له: أُريد أن تعيد لوالد زوجي عرشه المسلوب منه» فقال لها: لك ما تطلبين، فارجعي إلى جثة «ستيا قان» قبل أن تأكلها بنات آوى» فقالت له: «لست أبالي أن تأكل الجسم بنات آوى، فليس للجسد - متى فارقته الروح - فضيلة ولا خطر. إن الجسم يعوض، أما الروح فلا سبيل الى تعويضها!»

٧ - الجائزة الثالثة

فقال لها، «ما أصدق ما تقولين! إن عقلك - أيتها الفتاة - أكبر من عقول الأناسيّ: أبناء الأرض، وقد أمرت لك بجائزة ثالثة، مكافأة لك».

فقالت له: «أريد أن يكون لي مائة ولد، يا مولاي العظيم!» فقال لها، «سأحقق لك ما تطلبين.» فابتهجت الأميرة، وصفقت بيديها محبورة (أي مسرورة)، وقالت: «ما دمت

قَدْ وَعَدْتَنِي بِذٰلِكَ، فَأَرْجِعْ إِلَىٰ زَوْجِي «سَتيا ڤان» وأَعِدْ رُوحَهُ إِلَىٰ جَسَدِهِ، فَلَنْ أَتَزَوَّجَ غَيْرَهُ قَطُّ!»

٨ ـ الجائزة الرابعة

فَأَدْرَكَ «ياما» أَنَّ قُوَّةً أَكْبَرَ مِنْ قُوَّتِهِ ارادَت ذٰلِكَ. ولَمْ يَكُنْ لَهُ بُدٌّ مِنَ الْبِرِّ بِوَعْدِهِ، فَأَطْلَقَ الرُّوحَ مِنَ الشَّبَكَةِ، فَطارَت ـ فِي الْهَواءِ ـ وَعادَت إِلَىٰ جُثَّةِ «ستيا ڤان» فِي الْغابَةِ.

٩ ـ تَحَقُّق الرغبات

وأَسْرَعَتْ «سفِتْرِي» إِلَىٰ الْغابَةِ، فَبَلَغَتْها بَعْدَ سَفَرٍ طَوِيلٍ. فَرَأَتْ زَوْجَها غارِقًا فِي نَوْمِهِ، فَأَيْقَظَتْهُ مُتَلَطِّفَةً. فَمَدَّ جَسَدَهُ وتَثاءَب، ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَيْها قائِلاً: «لَقَدْ طالَ نَوْمِي بِلا شَكٍّ، فَما بالُكِ لَمْ تُوقِظِينِي قَبْلَ الآنَ؟»

فابْتَسَمَتْ «سَفِتْرِي» ورَبَّتَتْ كَتِفَهُ قائِلَةً: «هلم فَلْنُسْرِعْ بِالْعَوْدَةِ إِلَىٰ الْبَيْتِ،

فَقَدْ غَرَبَتِ الشَّمسُ ، وخَيَّمَ الظَّلامُ عَلَى الأَرْضِ . »

ثُمَّ أَفْضَتْ إِلَيْهِ — وَهِيَ عائِدَةٌ مَعَهُ — بِكُلِّ ما حَدَثَ وما كانَ أَشَدَّ دَهْشَتَهُ وابْتِهاجَهُ حِينَ دَخَلَ الْبَيْتَ فَرَأَى أَباهُ مَسْرُوراً بِعَوْدَةِ بَصَرِهِ وصِحَّتِهِ إِلَيْهِ فَجْأَةً . وقَدْ شارَكَتْهُ أُمُّ « سَنْيا قان » فِي فَرَحِهِ ، وأَقْبَلَ نُسَّاكُ الْغابَةِ يُهَنِّئُونَهُ بِعَوْدَةِ بَصَرِهِ إِلَيْهِ . وحِينَئِذٍ قَدِمَ رَسُولٌ يُخْبِرُهُمْ أَنَّ الْعَدُوَّ الَّذِي اغْتَصَبَ مُلْكَ « شَلْوازَ » قَدْ لَقِيَ مَصْرَعَهُ ، وأَنَّ الشَّعْبَ لا يُرِيدُ بِمَلِيكِهِ الْعادِلِ الرَّحِيمِ بَدِيلاً .

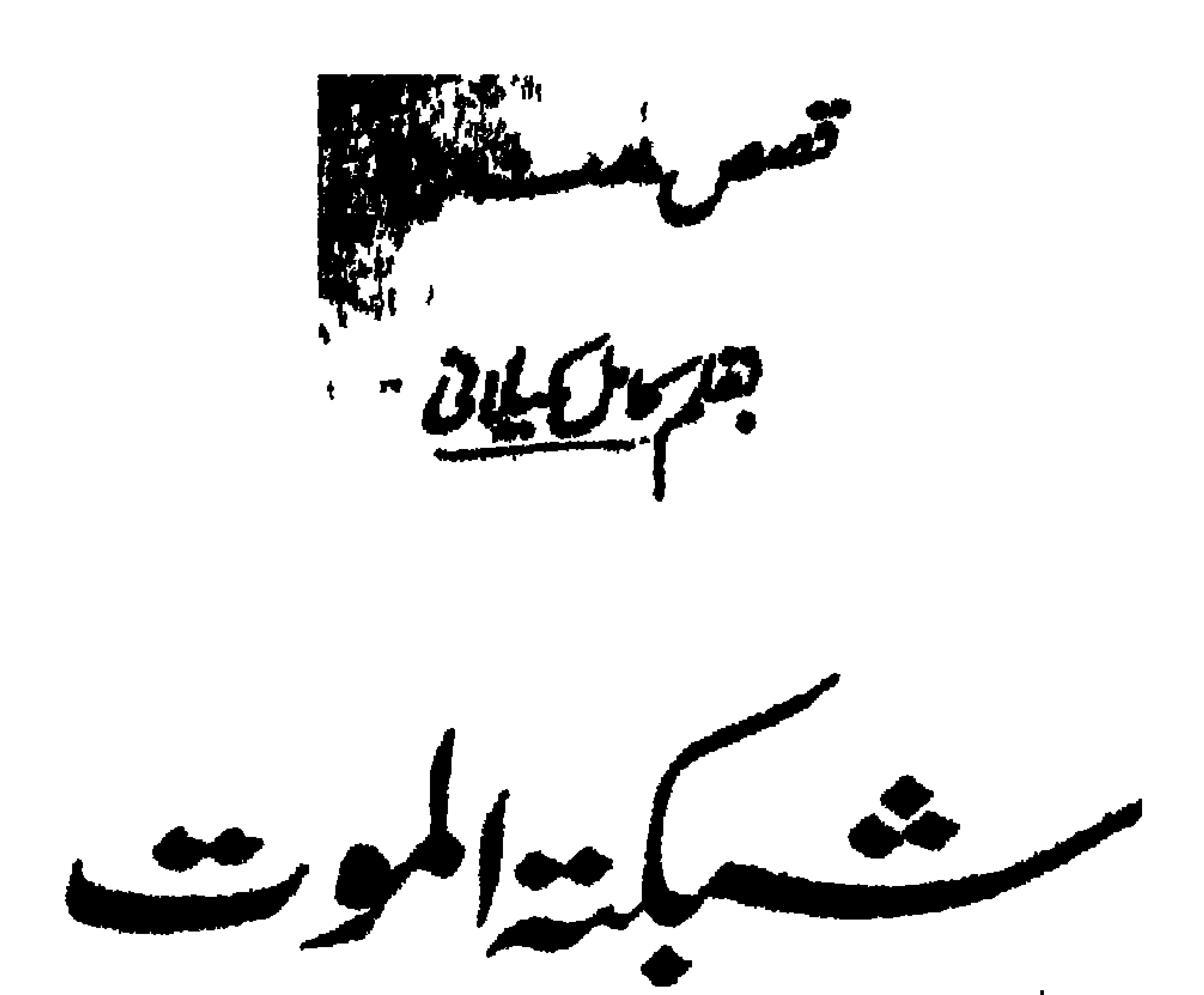
وفِي الْيَوْمِ التَّالِي عادَتِ الأُسْرَةُ كُلُّها إِلَى مَمْلَكَةِ « شَلْوازَ » حَيْثُ عاشُوا جَمِيعاً فِي سُرُورٍ وابْتِهاجٍ طُوالَ حَياتِهِمْ .

١٠ — خاتمة القصة

وقَدْ رُزِقَتْ « سَفِتْرِي » مِائَةَ وَلَدٍ ، كَما وَعَدَها « ياما » . وكانَتْ تَحْتَفِلُ بِأَعْيادِ

ميلادِهِم — واحِداً بَعْدَ آخر — متى بلغ العامَ العاشِرَ، احتِفالاً عظِيماً ؛ ثُمَّ تقصُّ على ضُيُوفِها: نِساءً ورِجالاً — بَعْدَ أَنْ ترفعَ المائدةَ — تفاصِيلَ هذِهِ القِصَّةِ المُعْجِبَةِ، وكيْفَ كُوفِئَتْ على وفائِها خَيْرَ مُكافأةٍ، وَجُوزِيَتْ على اخلاصِها خَيْرَ جزاءٍ.

مطبوعہ اعجاز پرنٹنگ مشین پریس
چھتہ بازار حیدرآباد دکن


شبکۃ الموت

الفصل الاول

١ - مَلِكُ الجيادِ

لم تَشْهَدْ بلادُ الهِنْدِ مَلِكًا ذاعَ صِيتُه، واستفاضَتْ شُهْرَتُه - بَيْنَ مُلوكِ عَصْرِه - في تَرْوِيضِ الخَيْلِ الجامِحَةِ العاصِيَة، كهذا المَلِكِ الجَبَّارِ الَّذي تُحَدِّثُكَ هٰذِهِ القِصَّةُ بِهِ. فقد أَحَبَّ الخَيْلَ - مُنْذُ نَشْأَتِهِ - حُبًّا جَمًّا، ولَمْ يَدَّخِرْ في سَبيلِ اقْتِناءِ كَرائمِ الجِيادِ شَيْئًا مِنْ جُهْدِه ومالِهِ وتفكيره. وقد هابَتْهُ (أي: خافَتْهُ) الخَيْلُ، فكانَ يُلْجِمُها بِيَدِه، ثُمَّ يَعْتَلي صَهَواتِها (أَيْ: ظُهُورَها) في مِثْلِ لَمْحِ البَصَرِ، فَيُسابِقُ الرِّيحَ بِها، فلا يَلْحَقُ بِهِ لاحِقٌ. فلا عَجَبَ إِذا أَطْلَقَ عَلَيْهِ النَّاسُ - في جَميعِ أَرْجاءِ الهِنْدِ - لَقَبَ: «مَلِكِ الجِيادِ» بَعْدَ أَنْ شَهِدَ لَهُ أَعْداؤُهُ -

قَبْلَ أَصْدِقائِهِ - أَنَّهُ سَيِّدُ الْفُرْسانِ، وَنادِرَةُ الشُّجْعانِ.

٢ ــ حزن الملك

وكانتْ أَحْكامُ هٰذا الْمَلِكِ نافِذَةً عَلى إِقْليمٍ كَبيرٍ مِنْ أَقاليمِ الْهِنْدِ الْغَنِيَّةِ الْواسِعَةِ، وَقَدْ حَباهُ اللهُ (أَيْ: أَعْطاهُ) ـ إِلى ثَرْوَتِهِ الْعَظيمَةِ ـ زَوْجًا جَميلَةً كَريمَةً عاقِلَةً. ولَمْ يَكُنْ ـ عَلى هٰذا كُلِّهِ ـ هانِئَ الْبالِ، ولَمْ يَذُقْ لِلسَّعادَةِ طَعْمًا في يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ، لِأَنَّهُ لَمْ يُرْزَقْ وَلَدًا يَرِثُ مُلْكَهُ مِنْ بَعْدِهِ. وقَدْ حَزِنَ الشَّعْبُ لِحُزْنِ مَليكِهِ، وشارَكَهُ فِي دُعائِهِ وَصَلاتِهِ الَّتِي كانَ يُقيمُها ـ كُلَّ يَوْمٍ ـ ضارِعًا إِلى اللهِ أَنْ يَرْزُقَهُ وَلَدًا صالِحًا يَخْلُفُهُ عَلى عَرْشِهِ.

٣ ـ نصيحة «نارادا»

وَلَمَّا نَفِدَ صَبْرُهُ، لَجَأَ إِلى وَزيرِهِ الْحَكيمِ «نارادا» - أَكْبَرِ فَلاسِفَةِ الْهِنْدِ في عَصْرِهِ، فَبَثَّهُ شَكايَتَهُ قائِلًا: «لَقَدْ تَزَوَّجْتُ ـ كَما تَعْلَمُ ـ مُنْذُ سَنَواتٍ خَمْسٍ، وَلٰكِنِّي حُرِمْتُ النَّسْلَ، عَلى حاجَتِي إِلَيْهِ. وقَدْ دَعَوْتُ اللهَ مِرارًا وَتَكْرارًا أَنْ يَرْزُقَنِي خَليفَةً

لي مِنْ بَعْدِي، فَلَمْ يَسْتَجِبْ لِدُعائِي، فَكَيْفَ أَبْلُغُ هٰذِهِ الْغَايَةَ؟»

وقال له الفيلسوف الحكيم: «ان دُعاءَكَ لا يُسْتَجابُ، إِلَّا إِذَا شَفَعْتَهُ بِأَثَرٍ نافِعٍ، مِنَ الْآثارِ الباقِيَةِ الَّتِي يَذْكُرُكَ بِها النَّاسُ، في حَياتِكَ، وبَعْدَ مَوْتِكَ. والرَّأْيُ عِنْدِي أَنْ تَبْنِيَ مَعْبَدًا كَبِيرًا - تَتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى اللهِ، لِيَسْتَجِيبَ دَعْوَتَكَ، وَيُحَقِّقَ طِلْبَتَكَ»

٤ - المَعْبَدُ الكَبِيرُ

فابْتَهَجَ «مَلِكُ الجِيادِ» لِهٰذِهِ الفِكْرَةِ الجَمِيلَةِ. وَصَفَّقَ بِيَدَيْهِ، فَأَسْرَعَ إِلَى تَلْبِيَتِهِ اثْنا عَشَرَ عَبْدًا مِنْ أَرِقَّائِهِ، وَخَرُّوا أَمامَهُ - إِلَى الأَرْضِ - راكِعِينَ، لِيَتَلَقَّوْا أَوامِرَهُ. فَقالَ لَهُمْ: «أَحْضِرُوا أَبْرَعَ المُهَنْدِسِينَ، وامهر الصناع.» فلما حضروا اليه، امرهم بِتَشْيِيدِ مَعْبَدٍ عَظِيمٍ، يَزِيدُ ارْتِفاعُهُ عَلَى ثَلاثِ نَخَلاتٍ طِوالٍ، وَأَنْ يَتَفَنَّنُوا فِي نَقْشِهِ بِالذَّهَبِ - مِنَ الدَّاخِلِ والخارِجِ - وَأَنْ يَجْلُبُوا لَهُ مِنَ الرُّخامِ الأَبْيَضِ النَّاصِعِ أَغْلاهُ، وَيُزَيِّنُوا سُقُوفَهُ وَبُرُوجَهُ وَأَقْبِيَتَهُ - الَّتِي لا تُحْصَى -

بأنفَسِ الرَّوائعِ الفَنِّيَّةِ، حتَّى يُصبِحَ أجمَلَ مَعبَدٍ في العَالَمِ كُلِّهِ، لا في الهِنْدِ وَحْدَها.

وَأمَرَ حَكِيمَهُ «نارادا» أنْ يُشرِفَ عَلَى تَشيِيدِ هٰذا المَعْبَدِ الكَبِيرِ، فَأجابَهُ بالسَّمْعِ والطَّاعَةِ.

٥ — المَعْبَدُ وحَدِيقَتُه

وَمَرَّتْ أشْهُرٌ قَلائِلُ، ثُمَّ تَمَّ — بَعدَها — بِناءُ المَعْبَدِ، وارْتَفَعَتْ مَناراتُهُ وبُروجُهُ عالِيَةً، ذاهِبَةً في الجَوِّ. وَقَدِ اكْتَنَفَتْهُ (أي: احاطَتْ بِه) حَدِيقَةٌ حالِيَةٌ بِأبْدَعِ الأزْهارِ، حافِلَةٌ بِمُخْتَلِفِ الأشْجارِ، مُحَمَّلَةٌ بِلَذائِذِ الثِّمارِ. وَقَدْ جُلِبَ إلى تِلْكَ الرَّوْضَةِ الغَنَّاءِ كَثِيرٌ مِنَ الأعْشابِ النَّافِعَةِ الَّتِي تُسْتَخْرَجُ مِنْها العَقاقِيرُ الطِّبِّيَّةُ، والأدْوِيَةُ النَّباتِيَّةُ النَّادِرَةُ الَّتِي تَشْفِي المَرْضَى مِنَ الدَّاءِ العُضالِ (أي: المَرَضِ الَّذِي يَعْجِزُ الأطِبَّاءُ عن مُداواتِهِ)

وَقَدْ بَنَتِ الطُّيورُ عِشاشَها فِي اعالِي الشَّجَرِ، وَرَتَّلَتْ ألْحانَها البَدِيعَةَ عَلَى أغْصانِهِ، فَمَلأتْ نُفُوسَ زائِرِيها بَهْجَةً وَحُبورًا.

٦ - في عالم الأحلام

وواظب «ملك الجياد» على زيارة هذا المعبد ثمانية عشر عاماً كاملة، لم يتخلف عنه - في أثنائها - يوماً واحداً، ولم يكف عن الدعاء، أن يمنحه الله ولداً يرث ملكه - من بعده - حتى فقد الأمل في استجابة دعائه، أو كاد. وذات ليلة رأى - في منامه - نوراً ينبعث من المعبد الذي شيده، فلما دناه رأى ناراً مشتعلة، وشبحاً يخرج من بين لهيبها المندلع. وسمع صوتاً عذباً يكلمه، فخيل إليه أن ملكاً كريماً هبط عليه من السماء، فملأ المعبد الكبير ضوءاً وهاجاً. ورأى فتاة ملائكية المنظر والصوت وسمعها تقول له -

«لا شك في أنك تعرفني - فأنا «سقيترى» زوج «برهما» وقد جئت لأبشرك ببنت ستلدها زوجتك، فتملأ عليكما دنياكما بهجة وسروراً ويجب أن تسميها باسمي وتطلق عليها لقب «بنت السماء»»

ثُمَّ اخْتَفَى الشَّبَحُ ، وأُطْفِئَتِ النَّارُ ، وتَجَمَّعَ رَمادُها فِي صُورَةِ طِفْلٍ صَغِيرٍ .

٧ ـــ بِنْتُ السَّماءِ

فَاسْتَيْقَظَ مِنْ نَوْمِهِ مَسْرُوراً ، ودَعا إِلَيْهِ الحَكِيمَ «نارادا» ، وقَصَّ عَلَيْهِ رُؤْياهُ فَبَشَّرَهُ بِأَنَّهُ سَيُنْجِبُ فَتاةً ، لا نَظِيرَ لَها فِي عالَمَيِ الإِنْسِ وَالْجِنِّ ، وأَنَّها سَتَأْتِي بِالأَعاجِيبِ. وبَعْدَ زَمَنٍ قَلِيلٍ اسْتَوْلَتِ البَهْجَةُ عَلَى كُلِّ مَنْ فِي القَصْرِ المَلَكِيِّ ، وَشارَكَهُمُ الشَّعْبُ فِي سُرُورِهِمْ بِتِلْكَ المَوْلُودَةِ السَّعِيدَةِ وكانَ شَعْرُها - فِي مِثْلِ لَوْنِ الشَّمْسِ ، وعَيْناها يَنْبَعِثُ مِنْهُما نُورٌ عَجِيبٌ. وَقَدْ أَيْقَنَ أَبُواها وأَهْلُها ورِجالُ القَصْرِ أَنَّ هٰذِهِ الطِّفْلَةَ لَيْسَتْ مِنْ بَناتِ الإِنْسِ فَلا عَجَبَ إِذا وَجَدُوا أَنَّ لَقَبَ «بِنْتِ السَّماءِ» لائِقٌ بِها .

٨ ـــ مُعَدَّاتُ السَّفَرِ

وتَتالَتِ الأَعْوامُ ، وانْتَقَلَتْ «سَقِيتْرِي» ـــ

نَمَتْ السماءُ — من الطفولة إلى الصبا، وبرعت في العلوم والفنون، ولا سيما فنون السحر، حتى فاقت الحكيم «تارادا» في تعرف أسرار النفوس. لهذا رأى والدها أن يعهد إليها بأن تختار زوجها — كما تشاء — من بين الأمراء والوزراء والنبلاء. فأعدت عدتها — تلبية لأمره — لسفر طويل، واختارت أربعًا من وصائفها (أي: جواريها) اللائي وثقت بهن، وأمرتهن أن يعددن لها عربة السفر، ويشددن إليها الثورين الأبيضين، ويحلينها بالفرش والستائر الموشحة بنفائس الحلي».

٩ — غابة النساك

ولما تمت معدات السفر، ودعت أباها، وأمرت سائقي العربة أن يذهبوا بها إلى غابة النساك — وهي على مسافة بعيدة من مملكة أبيها — حيث يقضي كثير من الزاهدين أوقاتهم في [illegible]

[illegible]

بَعِيدِينَ عَنْ مَفَاسِدِ الحياةِ وشُرُورِ النَّاس . وَقَدِ اعْتَزَمَتْ « سِفِتْرِى » أَنْ تختارَ زَوْجَها مِنْ بَيْنِ هؤُلاءِ النُّسَّاكِ الزَّاهِدِينَ، وَفَضَّلَتْهُمْ عَلَى الأُمَراءِ والنُّبَلاءِ — مِنْ أَصْدِقاءِ أَبِيها — الطَّامِعِينَ فِيما لَها مِنْ ثَروةٍ وَمُلْكٍ .

وَبَعْدَ سَفَرٍ طَوِيلٍ ، اقْتَرَبَ مَوْكِبُها مِنْ غابَةِ النُّسَّاكِ. وحِينَئِذٍ نَزَلَتْ « سَفِتْرِى » وَوَصِيفاتُها الأَرْبَعُ مِنَ العَرَبَةِ المَلَكِيَّةِ .

١٠ — النَّاسِكُ الضَّرِيرُ

واقْتَرَبْنَ — خاشِعاتٍ — مِنْ احَدِ معابِدِها، وَقَدْ بُنِيَ — إلى جانِبِه — كُوخٌ مِنْ غُصونِ الشَّجَرِ وَأَوْراقِها . فَرَأَيْنَ شَيْخاً طاعِناً فِي السِّنِّ جالِساً في الكُوخِ ، فَتَحَدَّثْنَ إِلَيْهِ قَلِيلاً، ثُمَّ تَرَكْنَهُ إلى غَيْرِهِ مِنَ النُّسَّاكِ والزَّاهِدِينَ . وَمَا زِلْنَ يَتَحَدَّثْنَ إلى شُيُوخِ الغابَةِ — واحِداً بَعْدَ واحِدٍ — وَكانُوا جَمِيعاً مِمَّنْ عَلَتْ بِهِمُ السِّنُّ — حَتَّى بَلَغْنَ صَوْمَعَةً

أكبرَ قليلاً مِمّا رَأَيْتَهُ فِي تِلْكَ الْغَابَةِ مِنْ صَوامِعَ وَأَكْواخ. وَرَأيْنَ شَيْخًا كَفِيفَ الْبَصَرِ، مَهِيبَ الطَّلْعَةِ؛ فَلَمْ تَكَدِ الأَمِيرَةُ «سَفِرْتِي» تَراهُ، حَتَّى عَرَفَتْ أَنَّهُ شَيْخُ الْغابَةِ الَّذِي حَدَّثَهَا النَّاسِكُ بِقِصَّتِهِ الْعَجِيبَةِ. فَقَدْ كانَ مَلِكًا، ثُمَّ كُفَّ بَصَرُهُ، وَائْتَمَرَ بِهِ عُصْبَةٌ مِنَ الْغادِرِينَ، فَطَرَدُوهُ مِنْ مُلْكِهِ شَرَّ طَرْدَةٍ، وَهَدَّدُوهُ إِذا عادَ إِلَى مَمْلَكَتِهِ — هُوَ أَوْ أَحَدُ أَتْباعِهِ — بِالْقَتْلِ.

١١ — النشيدُ الهِنْدِيّ

تَوَقَّفَتِ الأَمِيرَةُ مُفَكِّرَةً فِي قِصَّةِ هٰذا الشَّيْخِ الْمَكْفُوفِ، تُقابِلُ بَيْنَ حالَيْهِ — فِي قُوَّتِهِ وَضَعْفِهِ، وَفِي مُلْكِهِ وَصَعْلَكَتِهِ، وَفِي غِناهُ وَفَقْرِهِ — وَتَرَى جَلالَ الْمُلْكِ، وَهَيْبَةَ السُّلْطانِ، لَمْ تُفارِقاهُ لَحْظَةً واحِدَةً، بِرَغْمِ ما عَرَضَ لَهُ مِنَ الأَحْداثِ وَالْمَصائِبِ.
وَبَيْنا هِيَ مُسْتَغْرِقَةٌ فِي تَأَمُّلاتِها، إِذْ أَبْصَرَتْ فارِسًا تَنْبَعِثُ الشَّجاعَةُ مِنْ بَرِيقِ عَيْنَيْهِ، وَسَمِعَتْهُ

يُغَنِّي - وهُوَ سائِرٌ فِي طَرِيقِهِ - أُنْشُودَةً هِنْدِيَّةً، رائِعَةَ المَعْنَى، بديعَةَ التَّلحِينِ. فَأَنْصَتَتْ إلى نَشِيدِهِ، فَسَمِعَتْهُ يقُول:

نَفْسِي تُبْدِي - فِي الخَطبِ - قُوَّتَهَا
وَلِلرَّدَى تُعلِنُ ابْتِسامَتَهَا
والشَّمْسُ لا أَتَّقِي أَشِعَّتَهَا
وليْس يَخْشَى وَجْهِي حَرارَتَهَا
وَلا أبالِي - فِي الصَّيْفِ - لَفْحَتَهَا

✿

تَقُولُ نَفْسِي، وَالحَرّ يَسْتَعِرُ:

«اَلْفَوزُ لِلْعامِلِينَ إنْ صَبَرُوا
وَبَعْدَ حِينٍ سَيَطْلُعُ الْقَمَرُ
وَثَمَّ يَحْلُو - فِي ضَوْئِهِ - السَّمَرُ
والصَّبْرُ يُدْنِي للنَّفْسِ غايَتَهَا»

١٢ - ابْنُ النَّاسِكِ

فَقالَتِ الأَمِيرَةُ فِي نَفْسِها: «إنَّهُ يَلْبَسُ ثَوْبَ

زارعٍ وَصُعْلُوكٍ ، وَيَجْلِسُ عَلَى ظَهْرِ جَوَادِهِ جِلْسَةَ الْأُمَراءِ والْمُلُوكِ ، وَيُغَنِّي غِنَاءَ الْمُوسِيقِيِّ الْأَلْمَعِيِّ وَيُبْدِعُ – فِي نَشِيدِهِ – إِبْداعَ الشَّاعِرِ الْعَبْقَرِيِّ».

وَلَمَّا تَبَيَّنَتْ وَجْهَهُ جَلِيًّا ضَحِكَتْ مَسْرُورَةً مُبْتَهِجَةً ، لِأَنَّهَا عَرَفَتْ – بِمَا تَمَيَّزَتْ بِهِ مِنْ صِدْقِ فِراسَتِها – أَنَّها قَدِ اهْتَدَتْ إِلى الرَّجُلِ الْمُهَذَّبِ الْكامِلِ ، الَّذِي كانَتْ فُنُونُ سِحْرِها تُحَدِّثُها بِهِ ، وتَمْتَدِحُهُ لها. وَلَمَّا بلغَ الْفَتَى بابَ الصَّوْمَعَةِ ، نَزَلَ عَنْ فَرَسِهِ وَتَرَجَّلَ (أَيْ : مَشَى عَلَى رِجْلَيْهِ) وَرَبَطَ جَوادَهُ ، وَحَيَّا والِدَهُ الشَّيْخَ الضَّرِيرَ – فِي لُطْفٍ وأَدَبٍ – ثُمَّ دَخَلَ كِلاهُما تِلْكَ الصَّوْمَعَةَ ، واخْتَفَيا عَنِ الْأَنْظارِ .

١٣ – حَدِيثُ النَّاسِكِ

فَنادَتِ الأمِيرَةُ وَصائِفَها قائِلَةً : «تَعالَيْنَ يا وَصِيفاتِيَ الْعزِيزاتِ ، لِنَحُلَّ ضَيْفًا عَلَى هذا الشَّيْخِ الْجَلِيلِ : «مِلِكْ شَلْوازْ» شَيْخِ النَّاسِكِينَ.»

وَقَدْ رَحَّبَ الشَّيْخُ الْكَفِيفُ بِهِنَّ أَكْرَمَ تَرْحِيبٍ ، وَظَلَّ يُحَدِّثُهُنَّ بِجَمَالِ الرِّيفِ ، وَوَدَاعَةِ الْغَابَةِ ، كَمَا حَدَّثَهُنَّ بِمَا لَقِيَهُ مِنَ الْمَصَائِبِ الَّتِي جَرَّهَا عَلَيْهِ سُوءُ حَظِّهِ ، وَكَيْفَ طُرِدَ - هُوَ وَزَوْجُهُ وَطِفْلُهُ - مِنْ مَمْلَكَةِ « شَلْوَانَ » مُنْذُ عِشْرِينَ عَامًا - فَلَجَئُوا إِلَى هٰذِهِ الْغَابَةِ ، حَيْثُ عَاشُوا - مُنْذُ ذٰلِكَ الْحِينِ - وَادِعِينَ بَيْنَ هٰؤُلَاءِ النُّسَّاكِ ، آمِنِينَ مِنْ كَيْدِ عَدُوِّهِمِ الْغَاصِبِ الْخَبِيثِ . وَاشْتَرَكَ ابْنُ النَّاسِكِ فِي ذٰلِكَ الْحَدِيثِ .

❖

وَمَرَّتِ الْأَيَّامُ مُتَعَاقِبَةً ، فَازْدَادَتِ الْأَمِيرَةُ يَقِينًا بِصَوَابِ مَا ظَنَّتْهُ أَوَّلَ وَهْلَةٍ ، كَمَا اقْتَنَعَ ابْنُ النَّاسِكِ أَنَّ هٰذِهِ الْأَمِيرَةَ هِيَ أَكْمَلُ فَتَاةٍ أَنْجَبَتْهَا بِلَادُ الْهِنْدِ

الفصل الثانى

١ ـ عودة الأميرة

وَاعْتَزَمَتِ الأَميرةُ أنْ تَعُودَ إلَى بَلَدِها ، لتُخْبِرَ أباها بما وُفِّقَتْ إلَيْهِ فِى سَفَرِها مِنَ التَّعَرُّفِ بِتِلْكَ الأُسْرَةِ الْمُلُوكِيَّةِ الكَرِيمَةِ . وَقَدْ أَسَرَّتْ إلَى وَلَدِ النَّاسِكِ قِصَّتَها ، وَطَلَبَتْ إلَيْهِ أَنْ يَكْتُمَ هٰذا السِّرَّ حَتَّى تَسْتَأْذِنَ أَباها فى الزَّواجِ بِهِ فَإِذا أَقَرَّها عَلَى رَأْيِها ، كاشَفَ الأَميرُ أَباه ، وَأَفْضَى إِلَيْهِ رَأْىَ (أَخْبَرَهُ) بسره .

وَقَدْ فَرِحَ الأَميرُ بِهٰذا التَّوْفِيقِ فَرَحًا لا يُوصَفُ

وَلَمَّا عادَتِ الأَميرةُ إِلَى قَصْرِ أَبيها ، رَأَتْهُ جالِسًا مَعَ الحكيم « نارادا » وكانا يتحدثان - حِينَئِذٍ - فى أَمْرِها . وَأَقْبَلَتْ « سَفِتْرِى » عَلَى أَبِيها - فِى احْتِرامٍ وَخُشُوعٍ - وَمَثَلَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ ،